The Mustansirid Crisis: A Case of Pandemics in Fatimid Egypt

Mohammad Al - Nasser Siddiqi

Abstract

Fatimid egypt knew many calamities resulting from drought and the ebbing of the Nile. These in turn caused famines and dire economic conditions especially after the failure of the Fatimid plans to take over Baghdad and their total collapse under the constant blows dealt by the Seljuk Turks. State coffers were nearing bankruptcy and their financial cul-de-sac grew tighter as the Fatimids tried to solve the problems caused by famines and subsequent epidemics which lasted from 446 **to** 454 **(Hijri) /** 1054-1062 **AD. This crisis took many lives especially between** 447 **and** 448 **(Hijri)/** 1055/1056 **AD. The number of deaths reached a daily estimate of** 1000 **lives. Smallpox spread widely and took many lives and was followed by the bubonic plague in** 456 **(Hijri)/** 1064 **AD.**

Epidemics during the Mustansirid crisis spread far and wide and the death toll caused a lot of destitution and homelessness. Ibn Iyass Al-Hanafi pointed out that a third of the population of Egypt perished and people continued to suffer until the year 446 **(Hijri)/** 1071 **AD. People also tossed their dead in the Nile which polluted drinking water.**

All these calamities and famines and the subsequent economic crises and epidemics left the Fatimid helpless until the arrival of the Armenian officer Bad Al-Jamali in the year 446 **(Hijri)/** 1073 **AD who to take over the governance of Egypt and solve its problems.**

The methodology of our study of historical documents will be inductive, using the research mechanisms of historical anthropology approaches.

- How did political strife between the major Islamic powers mix with the economic?

- What were the major calamities and famines and what were the epidemics they caused?

- How did these epidemics affect the Fatimid Califate on all levels?

الشدَّة المستنصرية: مثال عن الأوبئة في مصر الفاطمية

محمد الناصر صدِّيقي

أستاذ مساعد، المعهد العالي للعلوم الإنسانية، جامعة جندوبة، تونس

الملخص

عرفت مصر الفاطمية جوائح وآفات تعددت أسبابها بين شح المطر وانخفاض مستوى مياه النيل وفيضاناتها، وما سببته من مجاعات وأوضاع اقتصادية متردية، خاصة بعد انهيار المشروع الفاطمي للسيطرة على بغداد وسقوط المخطط نهائياً تحت ضربات السلاجقة الأتراك وما ترتب عليها من إفراغ لخزائن الدولة، التي زادت ضوائقها المالية وأثقل كاهلها في حل المشكلات المجاعات وما رافقها من أوبئة استمرت من سنة **446**هـ إلى **454**هـ/ **1054**-**1062**م، وقد أودت هذه الشدّة بحياة الكثيرين، وبخاصة في عامي (**447**هـ **448**-هـ/ **1055**-**1056**م). إذ كانت الوفيات تقدر يومياً بألف شخص، فانتشر الجدري بشكل متسع وحصد مئات الأرواح، تلاه الطاعون سنة **456**هـ/ **1064**م.

وأما عن الأوبئة في أثناء الشدة المستنصرية؛ فقد تفشت الأمراض، ومات فيها الكثيرون؛ مما تسبب في بؤس الأهالي وتشردهم، وقد أشار "ابن إيّاس الحنفي إلى "أنّه فنِيَ من أهل مصر حوالي الثلث واستمرَّ الناس في معاناتهم حتى حدود سنة **464**هـ/ **1071**م، فألقى الناس بموتاهم في النيل؛ مما سبب في تلوث المياه التي يشربونها.

كل هذه الجوائح والمجاعات، وما سببته من أزمات اقتصادية وما نتج عنها من أوبئة جعلت من الخليفة الفاطمي يقف عاجزاً، حتَّى قدوم الضابط الأرمني "بدر الجمالي" سنة **466**هـ **1073**م لتولِّي شؤون مصر وإيجاد حلول لأزماتها.

وسيكون منهج دراستنا للوثائق التاريخية استقرائياً، مستعينين بآليات البحث في مقاربات الأنثروبولوجيا التاريخية.

- فكيف اختلط الصراع السياسي بالاقتصادي بين القوى الإسلامية الكبرى؟
- ما أبرز الجوائح والمجاعات وما سببته من أوبئة وأمراض في مصر؟
- وما تأثيرات هذه الأوبئة على الخلافة الفاطمية على جميع الصعد؟

الكلمات المفتاحية: الطاعون، الوباء، الشدَّة، جوائح، مجاعة، فيضان، القرن 5هـ ، مصر، النيل، الفاطميون، المستنصر...

المقدمة

تعد موضوعات الدراسات الفاطمية من المباحث المهمة جداً وبخاصة أنها تحتاج إلى إعادة قراءة متأنية ورصينة، فما بالك أنَّ البحث العلمي الحديث تجاوز منذ زمن الدراسات التاريخية التقليدية للبحث في جزئيات التاريخ، ومن هذه الجزئيات يُعد موضوع مؤتمر الأوبئة عبر التاريخ منها، لذلك كان موضوعنا يتمحور عن الأوبئة التي عرفتها مصر في عهد المستنصر بالله الفاطمي، وما سبَّبته في أكثر من محطة من أزمات أثقلت كاهل خزائن الدولة، وما خلَّفته من فوضى اجتماعية وتمرُّد في القيادات وبين صفوف الجند، وكلُّ ذلك له ارتباط بالحالة الطبيعيَّة لمستوى ارتفاع منسوب نهر النِّيل وما ينتج عنه من خيرات من ناحية، ومن كوارث من ناحية أخرى تتسبَّب في انتشار الأوبئة كالجدري والطاعون وارتفاع حالات الموت.

ومن ثم كانت الموجة الأولى، أو ما يُعرف بالمجاعة الأولى من (444 – 454هـ / 1052–1062م). أما الموجة الثانية التي عُرفت في المصادر بالشدَّة العظمى أو الشدَّة المستنصرية (نسبة إلى هذا الخليفة) فكانت بسبب المجاعة وما نتج عن ذلك من طاعون قاتل، وقد دامت هذه الحالة من (457 – 446هـ / 1065–1071م)، فوهنت الدولة، وضعُفت هيبة جهاز الخلافة وتمرَّد العسكر؛ ممَّا استدعى الاستعانة بأحد الضبَّاط من أصل أرمني لتسيير مقاليد الحكم وإيجاد حلول عاجلة لهذه الأزمات.

وكقراءة للمصادر والأعمال العلمية التي تناولت تطورات تلك الفترة في ما هو اقتصادي وسياسي واجتماعي وصحِّي لأحوال مصر آنذاك، وبحسب خطة العمل، كان اعتمادنا على جملة الأعمال المهمة التي عاصرت هذا الحراك، ومن أهم المصادر المرتبطة بتلك الأحداث نذكر أعمال المؤيد في الدين الشيرازي، مذكراته[1] وديوانه[2]، المجالس المؤيدية[3]، والمجالس المستنصرية[4]، كذلك نذكر رحلة ناصر خسرو في سفرنامه[5]، والمعري في اللزوميات[6]، والمسبحي (الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد) المتوفى سنة 420هـ/ 1029م في كتابه أخبار مصر[7]، وابن ظافر (جمال الدين أبو الحسن علي بن أبي منصور ظافر الأزدي) المتوفى 612هـ/ 1215م، في أخبار الدول

المنقطعة، دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين مع مقدمة وتعقيب الأب أندريه فريه[8]، وابن ميسر (تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب) المتوفى سنة 677هـ/ 1278م، في كتابه مصر[9].

وتبقى من أهم المصادر التي وثَّقت لأوضاع مصر بدقَّة، أعمال المؤرخ تقي الدين المقريزي (ت845هـ/ 1441م) الذي نهل الكثير عن شيخه وأستاذه عبد الرحمان بن خلدون (808هـ/ 1406م)، وما كتبه عن الفاطميين يعد من أفضل الوثائق التي نقلت عنهم، وفيه نوع من الإنصاف لتاريخهم، ولم يكن متحاملاً عليهم وهذا ما أعطى للباحثين والقرَّاء آراء مغايرة عن ذلك العصر، ويعد كتاب المقريزي "إغاثة الأمة بكشف الغمة"[10] عملاً مميزاً في تاريخ المجاعات والأوبئة التي حلَّت بأرض مصر وكذلك كتاباه[11]، كما أفرد الباحث "بيانكيتيودو" / Bianquis (Th) "مقالاً علمياً سنة 1980عن الأزمة الغذائية في مصر الفاطمية[12]، وكتب البروفيسور "فرهاد دفتري" في كتابه "الإسماعيليون: تاريخهم وعقائدهم"، عن بعض أحداث تلك الفترة وما ألمَّ بمصر في عهد المستنصر، وعن المشروع الذي قاده المؤيد في الدين الشيرازي في ضمّ العراق العباسي للخلافة الفاطمية، وكيف تحالفوا مع الضابط البساسيري دعمهم لحركته الانقلابية[13]، كما نجد في العمل العلمي للدكتور أحمد السيد الصاوي[14]، توثيقاً للمجاعات التي عرفتها مصر في تاريخها، وما صحبتها من أوبئة نُسبت في جميع الأحوال إلى النيل إذا قلَّ ماؤه أو فاض أحياناً أخرى، فتسبب في أذية الزرع وهلاك الحيوانات والإضرار بالبشر. أما عن حركة البساسيري وما خطط له المؤيد في الدين الشيرازي فقد كتب البروفيسور السوري سهيل زكار عن تلك الأحداث وكيف دعَّمت القاهرة ماليًّاً حركة هذا الضابط المنشق[15]، ويعد مقالي الموسوم بـ"بالغيرية المذهبية بعداً فكرياً في الثقافة العربية الإسلامية"[16]قراءة للتنوع الثقافي والفكري لذلك العصر، بما عرفه من أزمات اقتصادية واجتماعية وحتى عن تلك الأوضاع الوبائية، كما يعتبر العمل الذي نشره كل من د. سليم الشريري ومحمد محمد المسعودي[17] من جامعة مصراتة في ليبيا حيث تطرقا في هذا البحث المنشور لعوامل مجاعات مصر وحضور شخصية الخليفة المستنصر والأزمات التي عرفها عصره وما سببته من مشكلات أدت إلى تلك الفواجع الكبرى التي مسَّت الأهالي وما نتج عنها من أوبئة

وآثار اجتماعية سيئة جداً على حياة الفرد والمجتمع .

- فما أبرز الجوائح والأزمات في تاريخ مصر؟
- وكيف كان تأثير هذه الأوبئة على الخلافة الفاطمية في الصعد كافة ؟
- وما أبرز النتائج السياسية والاقتصادية لصراعات القوتين العظميين في العالم الإسلامي آنذاك؟

أولاً- المجاعات في مصر الفاطمية

عصفت بمصر في العصر الفاطمي أزمات حادة بسبب شح ماء النيل وانعدام الأمطار، ناهيك عن سياسة الدولة آنذاك، والأزمات المختلفة كالحروب والإجراءات غير العادية بين الديني والسياسي التي عرفها عصر الحاكم بأمر الله (386 – 411هـ) وما نتج عن ذلك من بلبلة وفوضى عمت القاهرة[18]، أوجدت نوعاً من الصعوبة في تسيير أمور البلاط الفاطمي لمن بعده؛ فقد ألمت بمصر في عهد ابنه الظاهر لإعزاز دين الله (441 – 427هـ) أزمة اقتصادية في عام 414هـ، 1024م، غلت الأسعار وانتشرت في القاهرة الأمراض، كثر الموت وأدى الوباء إلى نفوق الحيوانات وشح الماء بسبب قصور النيل؛ مما سبب في انتشار الفوضى "فكبس العبيد والذُّعار القاهرة ومصر ونهبوا الأرياف فكانت أزمة شديدة "[19].

وهذه الأزمة هي امتداد وتواصل مع مجاعات عرفتها مصر في أكثر من محطة تاريخية سابقة للوجود الفاطمي، لكن أهم أسباب هذه الأزمات تلك العلاقة الخاصة بين مصر ونيلها، كما قال هيرودوت "مصر هبة النيل "[20]، وإذا حاولنا – قدر الإمكان– البحث في اسم النيل ومرجعيته نجد في هذا الإبحار كلمة "نيلوNILU" موجودة في الآشورية، وتعني "طوفان ماء على الموج "[21]، وهذه العلاقة العضوية بين مصر والنيل تجعل كل رخاء أو جدب تمر به مصر يمكن النيل الفاعل الرئيسي في أهم هذه الأحداث وتطوراتها وما ستنعكس عليه في مجريات الأمور الاقتصادية والاجتماعية؛ ليؤثر على الفعل السياسي في قوة الدولة وضعفها وعلاقاتها الخارجية .

1 - العوامل الطبيعية

كما مرَّ معنا يعدُّ النيل الشريان الأساسي في حياة مصر والمصريين في جميع محطات وجود الإنسان في هذه البقعة منذ استقرار الإنسان المؤسس للحضارات القديمة، وتبقى مقولة المؤرخ اليوناني هيرودوت قائمة "مصر هبة النيل" ؛ فقد كان لفيضان النيل أثر واضح وجلي على أي نوع من الرخاء ستعرفه مصر ؛ فنقصان مياه النيل له ردات انعكاسية مؤثرة على حياة الناس وحيواناتهم، وتبقى وحدة القياس الرئيسية لمعرفة مستوى ارتفاع منسوب مياه النيل "الذراع" [22]؛ وهذا ما جعل المقريزي يدون أنه لم يصل النيل في خلافة المستنصر الفاطمي إلى حد القحط وما رافقه من مجاعات إلا في مرتين: 446هـ و 460هـ؛ حيث لم يقل عن 16ذراعاً، وتعدّى خلال تلك الفترة 15ذراعاً [23] من وراء تكون الفيضانات، وهي سبب وعامل طبيعي لمجاعات مصر آنذاك، والظاهر أن المقريزي بتفكيره الخلدوني يعد من أوائل الذين أشاروا إلى قلة الإنتاج الزراعي "عدم زراعة ما شمله الري؛ " [24]بمعنى آخر أن كثيراً من الفلاحين يلقون حتفهم أثناء الفيضانات[25] مما يسبب في بوارة الأراضي الزراعية ومن ثم تراجع الإنتاج، وما استنتجه المقريزي عن العامل الطبيعي المرتبط بالنيل بقوله: "أحوال الوجود وطبيعة العمران" [26].

وهذا المنحى الخلدوني في التحليل الذي سلكه المقريزي عنصر إيجابي في دراسة الأوبئة والمجاعات، وربما عمليات الدرس والبحث ضمن هذا العمل سوف تتيح لنا مزيد الاطلاع والغور في طيات هذا الموضوع؛ بحسب الرحالة الفارسي ناصر خسروالقيادياني (481هـ/ 1088م) إذا بلغ منسوب ماء النيل 17ذراعا فهذه الأرض لن يصيبها الظمأ وهو العادي، فإذا نقص عن ذلك أو زاد تضررت الأرض وأصابها القحط.

وهذا يسبب في عجز الدولة وديوان الخراج في تحصيل الخراج من المزارعين، وبحسب ناصر خسرو لا يأخذ سلطان مصر الخراج إلا إذا بلغ المقياس 18ذراعاً [27]. وما دون ذلك فالقحط، وهو المعروف عند المصريين بالظمأ، وما سوف ينعكس سلباً على الأرض ونقصان المحاصيل؛ ومن ثم غلاء الأسعار، ثم تحل الأزمات الاقتصادية والفيضان العالي، وهو المعروف عند المزارعين بالاستبحار؛ وهو ما يؤدي- كما ذكر

سابقاً – إلى القحط، ونقص غلال الأرض ومن ثم إلى ضعف الأجساد البشرية وهزال الدواب بسبب نقص التغذية، حتى نرى العجز عند الإنسان والحيوان على تحمل الجوع، فيمشون في الشوارع جوعى، ويتساقطون موتى في الطرقات، وربما تبقى الجثث ملقاة في العراء لأيام لا يوجد من يواريها الثرى، فتتعفَّن وينتشر الوباء من جراء هؤلاء ذلك.

وبالعودة إلى فيضان النيل، نجد عدداً من الآراء المتأخرة عن النسبة اللازمة للري، حتى لا تظمأ الأرض أو تستبحر (الاستبحار)، فما ذكره ناصر خسرو في أثناء زيارته لمصر يعد مرجعاً قديماً يعود إلى القرن الخامس الهجري، والرجل ذو علم ورحّالة له اطِّلاعاته الخاصة في عديد المعارف المرتبطة بالرياضيات والهندسة[28] وربما تفاصيل الحياة اليومية نجدها في رحلته وما دوَّنه بدقة وتحليل عن أمور الرَّي والزراعة[29]. إذن نجد اختلافاً في تحديد الحد اللازم لسقي الأراضي الزراعية، حتى لا يصيبها الظمأ أو ما يعرف بالاستبحار، وما حدَّده ناصر خسرو من17ذراعاً كما مرَّ معنا، وفي هذا الموضوع الأذرع الخاصَّة بالري نجد تحديداً لها من قبل المصادر: "الأذرع سبعة أقصرها القاضية ثم البوسنية، ثم السوداء، ثم الهاشمية الصغرى، وهي البلالية، ثم الهاشمية الكبرى وهي الزيادية، ثم العمرية، ثم الميزانية، والذراع الهاشمية الكبرى تساوي ثماني قبضات؛ أي 46.2 سنتيمتراً، وهي الذراع المستعملة عند الفقهاء[30].

وهنا نجد نوعاً من الإجماع على أنَّ الحد الذي يسقي أراضي مصر في عصر الفاطميين ويزيد عن طلباتهم ويدَّخر لعام قادم هو 16ذراعاً، وكلتا النهايتين مقلقة، في زيادتها أو نقصانها، في الظمأ والاستبحار، كما بيَّنا ذلك في أكثر من توضيح للحالة الطبيعية ودورها المباشر في الكوارث الطبيعية التي حلَّت بمصر أيام المستنصر، فالنقصان12ذراعاً والزيادة 18ذراعاً[31].

إذن. يعتبر النيل الفاعل الرئيسي في أزمات الغذاء؛ ومن ثم حدوث مجاعات، ومن يقوم بسبر إحصائي للمجاعات في مصر كالذي قام به المقريزي (ت845هـ) يجد تعداد نحو 20أزمة عرفتها مصر على مرِّ تاريخها، أرجع معظمها إلى قصور النيل وعدم وفائه بالكميات نفسها للفيضان[32] بسبب قصور مياه النيل[33]، فهو الرائد الأساسي لواديه منذ الحضارات السابقة للإسلام؛ ومن ثم ارتباط الأوبئة والمجاعات بتلك العلاقة

التي تعد أكثر من وجدانية بين النيل ومصر. لذا من الضرورة العلمية البحث عن عوامل أخرى لهذه الأوبئة؛ وهو ما يتطلبه البحث العلمي الرصين والجاد.

فالمقريزي أوضح في عصره أسباب تلوث مياه النيل لعل أبرزها إلقاء الموتى فيه، وسبب تلوث المياه وتحلل الجثث يفسّر لنا، بأنه عندما يزيد ماء النيل تكثر زيادة الرطوبة والعفن، وعندما ينقص يجف الهواء، مما يجعل الناس يشعرون بعطش كبير فيضطرون لشرب مياه ملوثة[34].

وهنا نقف مع تحليل لأسباب الكوارث الطبيعية التي يقصد بها الآفة التي تصيب الغلال كهبوب ريح تتلفها أو جراد يأكلها؛ ومن ثم تتناقص الغلّات وتحدث الأزمات الاقتصادية[35].

إضافة إلى هذه العوامل الطبيعية، نجد هناك عوامل أخرى لها دور في تفاقم الأوبئة واشتدادها.

2 - العوامل البشرية والاقتصادية

في هذا الجانب تعددت العوامل، وقسمت إلى عوامل بشرية وعوامل اقتصادية.

أ - العوامل البشرية

من الضروري البحث في عوامل أخرى لها التأثير الأقوى في القحط الذي أصاب مصر الفاطمية وما سببه لها من مجاعات؛ وبخاصة تلك المسغبة وما رافقها من أوبئة فتاكة عُرفت في أدبيات عصرها بالشدة المستنصرية[36].

فمن جملة الأسباب البشرية، سوء التصرف الإداري للمسؤولين عن المخازن السلطانية للغلال والفواكه والمواد الغذائية[37]، ناهيك عن دور التجار في التلاعب بالأسعار إبان الأزمات والجوائح[38]. ومن أسباب تطور الأزمة واستفحالها ذلك الصراع الذي تطور إلى اختلاف بين عبيد الدولة (مماليكها) وضعف قوة الوزراء عن تدبيرهم

لقصر مدة حكمهم. وتجرَّأ البعض على الدولة وصادروا أملاكها وقطائعها، وبلغت بهم الجرأة حد مصادرة أموال الخليفة وتقاسموا الأعمال لسنوات، حتى بلغت أزمة الظمأ التي عرفتها مصر أوجها، كما تطاول "العربان"[39] واختلَّت أمور الدولة واستولى الأمراء على أملاكها[40].

لذلك كانت قرارات الوزير اليازوري في تخفيض أسعار المواد الغذائية والغلال وقد دافع لإيجاد حلول لمشكلات التموين والحدِّ من المجاعة[41] والأوبئة التي عرفتها مصر سنة 446هـ/ 1055م، وحاول التدخل للتخفيف من معاناة السكان، فتصرف بكل فطنة لإيقاف هذه الكارثة وما سببته من كوارث بشرية، لذلك عمل على السيطرة التامة على الإنتاج المحتكر من قبل التجار[42] وهو ما سنعرض بالتفصيل لاحقاً.

وفي العامل البشري نجد أيضاً ضياع هيبة الدولة وتطاول المتنفذين عليها وسوء الإدارة وانتشار الفوضى والأهم انعدام الأمن وانتشار اللصوصية[43].

كما أنَّ جشع التجار وغلاء الأسعار واستغلالهم للوضعية الاقتصادية والاجتماعية التي تمر بها البلاد، وقد حدث ذلك في أكثر من مناسبة.

- موجة الغلاء الأولى

كانت ضمن المجاعة الأولى التي امتدت من سنة 444هـ إلى سنة 454هـ.

- موجة الغلاء الثانية

امتدت بين سنتي 457هـ و464هـ، وهي مرتبطة بالظروف التي كانت تمر بها القاهرة آنذاك من سوء تدبير إداري وأزمات الحكم والحروب والمعارك السياسية، ناهيك عن الصراعات داخل البلاط الفاطمي، وهي جزء مهم من أسباب تفاقم الأزمة الغذائية وما سببته من أوبئة أرهقت الدولة طيلة عشريتين.

وبالعودة إلى حال أركان الدولة ومؤسساتها نجد في مؤسسة الجيش الفاطمي مجموعات العساكر السودانيين[44] الذين استغلوا ضعف الدولة وأزماتها؛ فعاثوا فساداً ونهباً لأموال الأهالي، ناهيك عن وسائل الاستغلال الأخرى للحصول على الأموال[45]،

والعناصر السوداء التي استقرت بالقاهرة، وقد حظيت بدعم نفوذها وقوتها أيام المستنصر باعتباره ابن أم ولد زنجية، وأقام هؤلاء السود أيام المستنصر في حارات عديدة معروفة؛ مثل الحسينية والفرحية والميمونة والريحانية[46]، ولكثرة السود أيام المستنصر بالله الفاطمي عُرف باسم صاحب السودان[47]. واشتدت النزاعات إبان هذه الشدة وتسببت في صراعات وصلت حدَّ العراك بين طائفة الأتراك وطائفة السودان المقربين من أم المستنصر باعتبارها من أصول سودانية، وهم يعدون من دعائم الحكم عندها، وكان الأتراك أكثر الطوائف انتفاضة وثورة على الدولة؛ بسبب عطاياهم المقررة كل شهر بعشرين ألف دينار، إلا أنهم استغلوا وهن الدولة وضعفها، وبشكل خاص أيام الشدة المستنصرية وطالبوا بالزيادة في أرزاقهم[48]، وتكونت منهم طائفة لا تكتفي بالمطالبة، إنما تهاجم بيوت المال، وتعدوا على "محبَّسات" أضرحة الخلفاء الفاطميين، ونهبوا تلك الذخائر (قناديل الذهب والمباخر والمداخن وحتى المحابر وغير ذلك[49]، وبسبب هذه الفوضى التي طالت مدتها وجمعت بين ما هو طبيعي وما هو بشري، ناهيك عن ضعف الدولة وتطاول الجند والعامة عليها، ممَّا ولَّد نوعاً من السلبية في المجتمع المصري، وبخاصة عندما تفاقمت الظروف والأحداث فولَّدت تلك اللامبالاة نوعاً من الاستهتار الشعبي بالشأن العام.

ب- العوامل الاقتصادية

للعامل الاقتصادي دور مهم في الأزمات، لا يفوت أي باحث إبرازه، خاصة أن القارئ والمطلع على فترة خلافة المستنصر في أطوارها المختلفة يجد الكثير من المعطيات عن أحداث ساهمت بطرق مختلفة في الشدة العظمى التي عرفها عصر المستنصر.

عرفت مصر انتعاشة اقتصادية في أول عهد المستنصر؛ إذا من الواضح شغفه بتجميع المجوهرات والنفائس من قناديل مذهبة ومباخر وحلى ومداخن[50]، ناهيك عن النفائس التي تزدان بها مقابر أجداده من الخلفاء الفاطميين الأوائل.

وعرفت مصر، كما مرّ سابقاً، مجاعات عديدة عبر التاريخ، من أشدها في عهد المستنصر على الرغم من الثراء الذي عرفته مصر في عهده وتعدد مداخيل خزانة الدولة، سواء من إيجارات أو قطائع الأراضي الزراعية إضافة إلى مصانع النسيج والحرير التي تدر

أموالاً طائلة للدولة[51].

وقد عصفت بمصر أيام المستنصر – كما سبق ذكره – كثير من الأزمات، وسواء في ما يتعلق بالنيل وهو الرافد الرئيسي في حياة مصر والمصريين، أو ما يتعلق بأزمة الغذاء "الحنطة" التي حدثت سنة 415هـ/ 1023م أيام الظاهر، إذ ألمت في عهده أزمة اقتصادية كبيرة اشتدَّ فيها الغلاء وفشا بين الناس المرض وكثر في صفوفهم الموت[52] وكان ذلك بداية لفاتحة أزمات مصر الاقتصادية أيام حكم المستنصر (427–487هـ)، وكالعادة فكل رخاء أو شدة مرتبطة بالنيل، وهذا ما عرفته مصر في السنوات 444و447هـ، / 1052و1055م، وستينيات القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد، وفي هذه السنوات تراجع منسوب نهر النيل فكان سبباً في أسوأ أزمة اقتصادية تعرفها مصر في تاريخها الوسيط، بل إن البعض اعتبرها أشد وطأة مما حدث في الأزمنة الغابرة أيام يوسف بن يعقوب وإدارته لتلك الأزمنة[53] التي وثقتها المصادر الدينية[54]. فمعدل جريان النيل ومنسوب مياهه وثَّقته المصادر القديمة[55]، وسبَّب ذلك نقصاً في المحاصيل وتراجعاً كبيراً في مخزون الأغذية والغلال بسبب سوء تصرّف المسؤولين عن ذلك[56]، فأوقع ذلك مجاعات شديدة الوطأة على الأهالي وعانوا الأمرَّين في عيشهم؛ في ارتفاع في الأسعار، "أعقبه الوباء حتى تعطلت الأراضي من الزراعة واستولى الجوع لعدم وجود الأقوات"[57]، "فبيع رغيف الخبز في أزقة الفسطاط كبيع الطُّرف بخمسة عشر ديناراً، وبيع الأردب من القمح بثمانين ديناراً، وأكلت الكلاب والقطط، حتى قلَّت الكلاب، فبيع الكلب ليؤكل بخمسة دنانير"[58].

ومع تدهور حالة المعيشة، لم تعد للمال أهمية في سبيل الحصول على الأقوات؛ فقد بيعت المنازل بحارة "الطبق" لأجل الحصول على الأكل[59]، ومن جملة ما ذكرته المصادر عن الوضعية المتردية في القاهرة آنذاك "اضطرَّ أعيان الدولة ورؤساؤها أن يخدموا الناس لقاء كسرة من الخبز"[60].

صحيح أنَّ الوضع كان مزرياً والحالة الاقتصادية مقلقة، لكننا نجد في بعض الإشارات أن والدة المستنصر وبناته نزحن إلى بغداد[61]، ويبدو أن الخبر أكثر من ضعيف لأسباب

مذهبية؛ ففي الأزمة الأولى كانت حروب الدعاية الإسماعيلية وتمكّن الفاطميون من السيطرة على بغداد لمدة سنة هجرية واحدة[62]؛ ومن ثم فإنَّ الخبر غير دقيق لعدة أسباب، أهمها أن الصراع المذهبي كان على أشده بين القوتين الكبيرتين في المشرق الإسلامي، ناهيك عن دخول السلاجقة الأتراك كقوة داعمة للعباسيين، وفي إشارة ذكرها ابن تغري بردي فهناك أكثر من تاريخ لهذا النزوح460هـ/ 1068م أو 462هـ/ 1069م[63].

فهذه التواريخ المتضاربة تدفع بنا لمزيد التريُّث في إصدار أي حكم أو رأي في موضوع نزوح أم الخليفة وبناته لبغداد، والظاهر، وهو الأقرب إلى الواقع، أنَّ عملية نزوحهن قد تكون وقعت في المجال الشامي الخاضع في معظمه لسيطرتهم كفلسطين ومجال دمشق والساحل اللبناني بما فيه طرابلس، ناهيك عن الرملة وعسقلان وعكا[64]، وما يؤكد ذلك إشارة ابن الأثير إلى أن محمد بن المستنصر خرج إلى عسقلان أيام الشدة والغلاء وأقام بها حتى تنفرج الأمور في مصر[65].

وبالعودة إلى الأوضاع الاقتصادية أيام الشدة المستنصرية، نجد ضعف حضور الدولة؛ حيث ثار عبيد الدولة، وضعف نفوذ الوزراء عن سياسة الأمور وتسييرها بسبب قِصَر مدة إدارتهم، فخربت أعمال الدولة وضعفت مداخيلها وتغلَّب الرجال على معظمها، وبلغت بهم الأمور أن حولوا أموال الخلافة وبيت المال إلى أنفسهم؛ مما اضطرَّ الخليفة إلى بيع أغراضه وأثاث قصره وممتلكاته، وتقاسموا دوائر الحكم ودام ذلك طيلة الأزمة التي عصفت بمصر[66].

ولم تجد الأراضي الزراعية من يفلحها بسبب غزو القبائل الهلالية المنتشرة في الصعيد والمهددة للأمن العام والاستقرار السكاني[67]، وكانت من جملة الحلول التي اتخذها الخليفة الفاطمي المستنصر لإبعاد خطر بني هلال وقبائل الأعراب، تحريضهم على الهجرة لإفريقية، للتخلص من الفوضى التي أحدثوها؛ كتخريب الحرث وتهديد حياة الأهالي وتدمير العمران[68]، ومنها معاقبة آل زيري نواب الفاطميين في حكم إفريقية، الذين أعلنوا ولاءهم المذهبي والسياسي للحضرة العباسية في بغداد[69]، علماً أن هذه الاستفاقة للأشاعرة في بلاد المغرب كانت سبباً في هذه الهجرات الهلالية وكحلٍّ فاطمي

لدرء تعديات هذه القبائل وتجاوزاتها، ولضمان أمن جنوب القاهرة وسلامته، وكخطوة من المستنصر لإعادة إحياء الصعيد وعودة شريان الحياة الاقتصادية له.

أما في المشرق فقد استنزفت الدولة الفاطمية مواردها وخزائنها في سبيل إسقاط الخلافة العباسية، واستغل الفاطميون حركة البساسيري ودعموها، على الرغم من كل الظروف الصعبة التي عرفتها مصر من قحط وقصور مياه النيل، فقد أفرغت القاهرة خزائنها، وأرسلت إلى البساسيري ما قيمته 2,300,000 من الدنانير مع الداعي الفاطمي المؤيد في الدين الشيرازي، وبعد مكابدة نجحت قوات البساسيري في السيطرة على بغداد سنة 450هـ/ 1058م. وقد لعب الشيرازي دوراً مهماً في التخطيط لهذا الحدث المهم الذي انتظره الفاطميون منذ اتجاههم شرقاً وسيطرتهم على مصر وبلاد الشام[70].

وهنا نقف أمام استنزاف مادي هائل أنهك الخزائن الفاطمية وأفرغها لمشروع لم ير النور إلا لمدة سنة هجرية واحدة وعاد بالوبال على الوجود الفاطمي في المجالين العراقي والشامي، وساهم بشكل غير مباشر في خروج الفاطميين من التاريخ السياسي بعد أكثر من قرن، هذا ما تم في الأزمة الاقتصادية الأولى، وسوف نعرض لاحقاً لنتائجها الوبائية على مصر وما سببته من تفاقم الأوضاع في سنوات الشدة العظمى؛ تلك السنوات العجاف في ستينيات القرن الخامس الهجري المعروفة بالشدة المستنصرية.

وأثرت هذه الحالة الاقتصادية على مصروفات الدولة؛ فالرواتب ومستحقات إطارات الدولة والجنود بلغت درجة عجزت فيها الدولة عن توفير 300 ألف دينار هي قيمة مستحقاتهم سنوياً[71].

ومنذ مجريات الشدة المستنصرية ازداد نفوذ الوزراء، وبخاصة، وزراء التفويض؛ مما تسبب في إرهاق ميزانية الدولة وأثقل كاهلها بالمصاريف؛ فقد كانت الأموال العنصر الضامن للولاءات في تلك الفترة الحساسة وشراء الذمم لكبار القادة والمسؤولين[72]، وتحملت خزانة الدولة كل هذه الامتيازات ومظاهر الترف للمتنفذين في البلاط الفاطمي أنفسهم، خاصة بعد استنجاد الخليفة المستنصر بالضابط الأرمني بدر الجمالي، لإنقاذ الدولة والخروج – قدر الإمكان- من هذه الأزمة الاقتصادية[73] وما نتج عنها من كوارث

بشرية وغيرها.

وقد ارتبطت الأوضاع بمصر أيام المستنصر وما خلفته المجاعتان الأولى والثانية، بعجز الخلافة عن الالتزام بالأموال المخصصة للحسينيين في بلاد الحجاز؛ باعتبارها العامل الرئيسي في ضمان ولاء أشراف الحجاز للقاهرة، ففي أوج الشدة المستنصرية وتعاظم القوة الحربية للسلاجقة الأتراك ودخولهم كقوة سنية (أشعرية) منافسة للفاطميين في بلاد الحجاز والشام، ونجاح السلاجقة الأتراك في كسب ولاء الأشراف الحسينيين لخلفاء بغداد في تلك الأزمة[74]، ومن باب ضمان الولاء، كانت القاهرة تقدم لهم أموالاً هائلة، لم تستطع إبان الظروف الصعبة الوفاء بهذه الالتزامات المالية؛ مما سبب نوعاً من السخط والتذمر عند أشراف الحجاز[75].

وبالعودة إلى الداخل المصري واشتداد الأزمة، نجد ذلك الصراع بين الجنود السود المدعومين من أم الخليفة المستنصر والأتراك وأثره السلبي في تخريب الصعيد؛ مما سبب في بوار مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية، فكان الجنود هم من يقومون بحرث الأراضي وزراعتها بسبب خراب الصعيد[76] وما نتج عنه من غلاء في المعيشة بشكل لم تعرفه مصر منذ عهد يوسف الصديق[77]، ومن التأثيرات السلبية للأزمة الاقتصادية انعدام الأمن بانتشار اللصوصية؛ فضعف حضور الدولة كان عنصراً مساعداً على وجود اللصوص وقطاع الطرق، خاصة تلك الصراعات بين عناصر الجيش الفاطمي، وتطاول العساكر الأتراك على أملاك الخليفة المستنصر لدرجة إفراغ الخزائن[78]، والظاهر أن مؤسسة الحكم الفاطمي عاجزة بسبب سلوكيات العسكر التركي في العراق أو في مصر نفسها، وفرضهم القوة والحصول على مبتغياتهم بحدّ السيف، وكان من نتاج ذلك تخريب أحياء عديدة في الفسطاط وحرق دور الأهالي وتعطيل حركة الاقتصاد من تجارة وصناعة[79].

وهنا نجد رأياً للمقريزي مغايراً تماماً لما ذكرته المصادر المعادية للفاطميين، فقد أوجد نوعاً من التبرير عن صمت الخلافة كمؤسسة حكم من تآكل هيبتها وحضورها في وسط العساكر وتجاوزاتهم؛ بأن الأجهزة الفاطمية فضلت غض الطرف عن هذه التجاوزات من نهب ولصوصية حتى لا يمتد أذاهم للرعية فتزداد حالتهم فقراً وترديا؛ لذلك لم تتدخل أجهزة الدولة في كل تلك التجاوزات "بل جعلتها هي وغيرها فداء لأموال المسلمين وحفظاً

لما في منازلهم "[80]، وربما كان هذا الرأي كحلّ أمني لضمان الاستقرار على الرغم من الجوائح والكوارث التي تعصف بالبلاد ويروح ضحيتها المئات أو أكثر من البشر، لذلك صمتت أجهزة الحكم عن هذه التعديات المسببة في تآكل هيبة الدولة وإضعاف أركانها؛ ما جعل الخليفة المستنصر يستنجد بالضابط الأرمني بدر الجمالي للقدوم إلى مصر سنة 466هـ/ 1073م، لإعادة حضور الدولة بين رعاياها، وفي السياسة الخارجية مع الزحف السلجوقي للمجال الشامي وتآكل الأجزاء الغربية من الخلافة الفاطمية وانفصالها عن القاهرة وإعلان ولائها لبغداد. كما بدأت الحواضر الشامية الكبرى؛ كحلب ودمشق، بإعلان ولائها للسلاجقة وقطع الخطبة الفاطمية مع بداية التوغل الفرنجي، فانقسم الشام بين السلاجقة الأتراك والفرنجة[81].

ثانياً - المجاعات والأوبئة في حكم المستنصر ونتائجها

كما مرَّ معنا، عرفت مصر مجاعات في تاريخها القديم والوسيط ومرت في عصر الفاطميين أكثر من مجاعة، أشدُّها وجعاً وإيلاماً في كيان الدولة، تلك التي حدثت في عصر المستنصر لدين الله، وكنَّا قد بيَّنا في الباب السابق مسببات الأزمة وما أنتجته من مجاعات وما أفرزته هذه المجاعات من أوبئة فتاكة أضعفت الدولة، ويبقى كل شيء تعيشه مصر مرتبطاً بنِيلها، وبالعودة إلى حالتي القحط التي عرفتها البلاد وخاصة الشدة المستنصرية، فإن أزمات سنوات الأربعينيات والخمسينيات وحتى أوائل ستينيات القرن الخامس الهجري والوضع البيئي والاقتصادي والاجتماعي وسياسة الدولة في مواجهة الجوائح الطبيعية سببت في المجاعات، وهذه بدورها كانت سبباً في أوبئة دمرت الحرث والنسل، وهذا ما سنعرض له بالدرس والتحليل:

1 - المجاعة الأولى (444 - 454هـ): الجدري

عادت المجاعات بشكل قوي في عهد المستنصر الذي حكم مصر بعد والده الظاهر لإعزاز دين الله، وهذه المجاعة – كما مرَّ معنا– كانت بسبب أزمة مياه النيل وآثارها على الزراعة، وقد بدأت تلوح في الأفق من سنة 444هـ/ 1052م على وجه التقريب إلى حدود

454هـ/ 1062م، وهذه المجاعة الأولى التي عرفتها مصر في النصف الأول من القرن الخامس الهجري؛ أي سنوات الأربعينيات مع تشتت لمجهودات الخلافة وإمكانياتها في المجهود الدعوي الخارجي وفوضى العساكر على اختلاف إثنياتهم، وكان القائم على الحكم بعد الخليفة وزيره اليازوري الذي حاول فرض قوانين صارمة جديدة لتجاوز هذه المجاعة، غلب عليها عدم التخطيط المسبق وإرضاء شخص الخليفة المستنصر مع فراغ مخازن الأغذية، سواء الراجعة للخلافة أو للوزير اليازوري، وتعد إجراءاته عنصراً مساعداً على الحدّ من المجاعة، مع دعم غير مسبوق من ملوك الطوائف بالأندلس، فقد قدموا دعماً ومساعدات كبيرة للقاهرة في تلك الفترة[82]، ويبدو أن هذا الدعم والمساعدة الأندلسية من قبل ملوك الطوائف لفاطميي مصر كان اتِّقاء لذلك الزحف السلجوقي الذي اكتسح العراق والشام وهدد بقوة الوجود الفاطمي، ولا ننسى أن أوروبا في تلك الفترة بدأت تدقُّ الطبول لغزو الشرق وحل مشكلاتها برمي فلذات الأكباد في أراضٍ مجهولة؛ ومن ثم قد تكون حركة ملوك الطوائف مع فاطميي القاهرة طيّاً لصفحة صراعٍ إيديولوجي قديم بين أفراد البيت القرشي الكبير (بنو هاشم وبنو أمية)، ومن ثم كان انتفاء أسباب هذا الصراع بزوال حكم بني أمية في الأندلس، وهنا يُعد موقف ملوك الطوائف استشرافياً لدعم كل القوى الإسلامية في المتوسط.

وتوجد رسائل ودية بين الخليفة المستنصر وعلي بن مجاهد العامري صاحب دانية في سنة 452هـ/ 1060م[83]. وأعادت القاهرة كردٍّ للجميل سفناً أندلسية محملة بالأسلحة تم حجزها في الإسكندرية[84].

هذا عن الحالة العامة حيث تداخل العامل الطبيعي بالاقتصادي والسياسي، وبالعودة لتأثيرات المجاعة في الوضع الصحي العام الذي عرفته مصر أيام المستنصر في المجاعة الأولى وتحديداً في سنوات 446هـ/ 1054م إلى سنة 454هـ/ 1062م، فقد نتج عن هذه المجاعة وباء أودى بحياة كثير من أهالي مصر، وبشكل خاص بين عامي (447و448هـ/ 1050-1055م)[85]والظاهر أن القحط والوباء عمّا مجالات عدة في بلدان المشرق كبلاد الشام والعراق وعُرف بعام الجوع الكبير[86].

وفي الحالة المصرية بيَّنا كيف كان لحركة الدعاية الفاطمية التي قادها المؤيد في الدين

الشيرازي واستغلاله لحركة الضابط البساسيري وتوظيفها لاحتلال بغداد والقضاء على الخلافة العباسة وكيف دخل الفاطميون في حرب استنزاف مع جحافل قوى السلاجقة الأتراك المنقذين للخلافة العباسية؛ أرهقت الخلافة الفاطمية وزادت مشكلاتها تعقيداً، والظاهر أنَّ حجم الإنفاق الضخم كان له عواقب أضرَّت بالدولة الفاطميَّة قيادة ودعاة وقادة جند.

صحيح أنَّ القحط والجفاف كانا عامّين في أغلبية مناطق المشرق الإسلامي من مصر في أقصى الغرب إلى خراسان وبلاد الجبال مروراً بالمجال الشامي والعراقي[87]، إلَّا أنَّه في حالة مصر زاد هذه المجاعة خطورة انتشار أوبئة وأمراض، وبشكل أدق في أوج المجاعة الأولى انتشر وباء الجدري سنة 448هـ/ 1056م، الذي أودى بحياة كثير من الناس، بحسب إشارة أبو المحاسن (ابن تغري بردي، ت 874هـ/ 1470م)، كان يموت في كل يوم ألف شخص[88]، واشتد فتك الجدري بالأهالي ليصل إلى نحو عشرة آلاف في اليوم، فكان الخليفة المستنصر يجهز أكفان الضحايا من ماله الشخصي[89].

وبعد سنوات القحط التي حلَّت في سنة 454هـ/ 1062م، عرف العام الموالي 455هـ/ 1063م ارتفاعاً في منسوب مياه النيل ليصل إلى 19ذراعاً و12إصبعاً [90]؛ مما سبب في انتشار وباء الطاعون، فمات في عشرة أشهر، كل يوم ألف إنسان[91].

وقبل التعمق في طيات الشدة المستنصرية التي سجلتها المصادر عن أوج المجاعات وما رافقها من أوبئة فتاكة أرهقت الفاطميين وكانت نتائجها بعد أكثر من قرن بأفول نجم الخلافة الفاطمية بشكل نهائي عن مسرح أحداث التاريخ سنة 567هـ/ 1171م، وهذا ما سوف نبينه لاحقاً ضمن النتائج، ولكن استوقفتني أبيات لفيلسوف الشعراء أبي العلاء المعري (ت 449هـ/ 1057م)، عبر فيها بكل روح إنسانية عن تعاطفه الصادق مع الوجع الإنساني الذي ألم بمصر في تلك الفترة؛ فالمعري الذي عاصر أوج الصراع الفاطمي العباسي ودخول السلاجقة الأتراك لدعم العرش الخلائفي لبني العباس تلمَّس شماتة بمصر وأهلها؛ لأن حكامها فاطميون (إسماعيلية)؛ فالتحريض وروح الكراهية والأحقاد التي تكلست بين سجلات الكتب، ربما بسبب دخول هذا العنصر الغريب أساساً عن

مكونات المنطقة العربية (العراق، الشام ومصر) أجج نيران هذه الأحقاد وفرض ثقافة السلطة وخطها السياسي والفكري[92]، وبالعودة لأبيات المعرِّي التي يرد فيها على شماتة الشامتين على الوضع الذي أصبحت عليه مصر أيام المستنصر نتاج مجاعة (444هـ-454هـ)، وذلك الوباء الذي حل بها، ومن الواضح أن هذه الأبيات كتبت قبيل وفاة المعري (449هـ/ 1057م)، فسبق للمعري أن تناظر مع فيلسوف البلاط الفاطمي المؤيد في الدين الشيرازي إبَّان وجوده في البلاد الشامية لمتابعة حركة البساسيري (447 - 449هـ/ 1055 - 1057م)، وهذه الرسائل من درر روح وثقافة الاختلاف والاعتراف بالآخر في الحضارة العربية الإسلامية[93]، لذلك لا نستغرب من المعري هذا الموقف الإنساني في عصره، خاصَّة أنَّ ملامح المنطقة العربية في الشام والعراق بدأت تأخذ لوناً ثقافياً مغايراً لنسيجها الطبيعي والتاريخي.

فكانت أبيات المعري بما تحمله من عاطفة مع الآخر الثقافي في الإسلام الاجتماع؛ حيث قال:

"ما خَصَّ مِصراً وَبَأٌ وَحدَها ... بَل كائِنٌ في كُلِّ أَرضٍ وَبَأ

أَنبَأَنا اللُبُّ بِلُقيا الرَدى ... فَالغَوثُ مِن صِحَّةِ ذاكَ النَبَأ

هَل فارِسٌ وَالرومُ وَالتُّركُ أَو ... رَبيعَةٌ أَو مُضَرٌ أَو سَبَأ

ناجِيَةٌ في عِزِّ أَملاكِها ... أَن يُظهِرَ الدَّهرُ لَها ما خَبَأ

وَمِن سَجايا نَبلِهِ أَنَّها ... كُلُّ قَتيلٍ قَتَلَت لَم يُبَأ

إِن سارَ أَو حَلَّ الفَتى لَم يَزَل ... يَلحَظُهُ المِقدارُ بِالمَرتَبَأ"[94]

2 - المجاعة الثانية: "الشدة العظمى" (457-464هـ): "الطاعون القاتل"

المجاعة الثانية أو ما يعرف في كتب المصادر بالشدة المستنصرية[95]، وإن كان لي رأي آخر عن كل المراحل التي مرت بها مصر في عصر المستنصر آخر خلفاء عصر القوة من أوضاع صعبة جداً خاصة تلك المرتبطة بعوامل طبيعية؛ فالنيل لم يكن انسيابه في عشريتين

من عصر هذا الخليفة بالعادي، وكانت المرحلة التي عرجنا عليها في الفترة الممتدة بين (444هـ - 454هـ و457 - 464هـ) عرفت قحطاً شديداً كان سبباً في المجاعات وما نتج عنها من أوبئة وتخللها في سنة 465هـ فيضان النيل وما سببه من طاعون أهلك الحرث والنسل؛ ومن ثم اعتبرت هذه الفترة التي أنهكت مصر وأهاليها بالشديدة والقاسية جدا خاصة أنَّ نتائجها ستكون كارثية على الوجود الفاطمي ككيان سياسي وحتى المدّ المذهبي المعادي له، لذلك اعتبرت كل فترة الجفاف والأوبئة حالة عسرة وشدائد، وإن كانت للمصادر الوسيطة قراءتها المغايرة.

تعد المجاعة الثانية هي الأقسى على مصر لمدة سبع سنوات كانت بدايتها سنة 457هـ/ 1065م، وخفت وطأتها بشكل نهائي في سنة 464هـ/ 1071م[96]، وإن كانت سنة 462هـ/ 1069م أشدها؛ حيث عانى الأهالي الكثير فقسَت معيشتهم وتعذَّر عليهم الحصول على أقواتهم، وعمَّ الغلاء واشتدَّ الجوع وتفشَّى الوباء وانتشر بين الأهالي السلب والنهب[97].

ولم تعد للأموال أهمية في سبيل الحصول على الأكل، وسجلت المصادر طرائف على تلك الكُنى والألقاب والتسميات كحارة "الكبش" وحارة "الجورة" . . . ، واللافت أنه بسبب المجاعة الثانية ذكرت المصادر "بيعت عشرون داراً في إحدى حارات الفسطاط بطبق أكل، فسمِّيت بحارة الطبق[98]، وهجم الأهالي في الفسطاط على كل حامل للمواد الغذائية ونهبوها منه"[99].

واللافت للنظر لعب النساء دوراً حراكياً ضد سياسة الفاطميين الاقتصادية أو صمت الدولة ضد التعديات والتجاوزات الأمنية التي يقوم بها العامة وقطاع الطريق، ناهيك عن تجاوزات الجند بحسب تقسيماتهم من ترك وسودان باعتبارهم من أبرز مكونات العسكر الفاطمي آنذاك، ويُعد الخلاف القائم بينهم من أسباب تفاقم الوضع المعيشي، ولأن أسباب المجاعات والأوبئة مترابطة بين عوامل الطبيعة وما هو سياسي، فالأراضي التي تعاني من قصور المياه في أغلب سنوات المجاعة تعطلت عن الزراعة بعد الوباء وبقي الحال على ما هو عليه حتى بعد تحسن الأمور، فلا تجد الأراضي من يزرعها[100]، ولو استقامت أمور الدولة لتمكن الساسة من إيجاد الحلول وفرض هيبة الدولة وسلطانها، وإن كانت هناك

محاولات للتدخل لحسم بعض الأمور خاصة المرتبطة بقضايا القتل؛ فقد أورد المقريزي وحتى ابن إياس الحنفي أن هناك مجموعات في أزقة الفسطاط نقوم بصيد البشر وأكل لحومهم، وعُرف ذلك الزقاق الذي يجلسون فيه بزقاق القتل، وتدخلت أجهزة الدولة وتعقبتهم، وعملت على إعدامهم[101].

كما أسلفنا القول، زاد من فداحة هذه المجاعات انتشار الأوبئة؛ كالطاعون الذي فتك بكثيرين من أهل مصر وقد نقص عدد القرى في عهد المستنصر إلى 2062 قرية[102]، علماً أنها بلغت في العصر الفاطمي الأول 3834قرية[103]، وبلغ عدد القتلى ثلث أهل مصر[104]وبالعودة إلى المسغبة التي حلت بمصر وأهلها وطول مدتها وما سببته من أمراض فتاكة إلى درجة الوباء، فقد لجأ الأهالي إلى أكل نحاتة النخل بل طبخوا جلود الحيوانات كالبقر وباعوا الرطل منها بدرهمين[105]، وتعدى العامة والجند حتى على دواب الخلافة، فمن عشرة آلاف بين فَرَسودابة لم يبق له سوى ثلاثة خيول[106]، وبلغت الأمور إلى أكل الجيفة والميتة وتعدت إلى اللحوم البشرية التي تطرقنا إليها وسوف نسهب قليلاً في موضوع أكلة اللحوم البشرية حيث تعددت الأحداث والقصص عن مجاعات أُكلت فيها لحوم الآدميين وتطرقنا لزقاق الفسطاط وكيف تتم عمليات صيد البشر، والظاهر أن هذه القصص التي أوردتها المصادر ليست من المخيال الشعبي أو ذلك الأدب الديني المروي عن أهل الكتاب وتناقله القصاصون والمفسرون والرواة بحكم أنها موروث ديني إنساني، لكن هنا في أكل اللحوم الآدمية في زمن المسغبة، للنصوص الفقهية الإسلامية آراء في ذلك مختلفة؛ فنجد نوعاً من الإباحة في أكل ميتة الآدمي للضرورة "وللمضطر أكل آدمي ميت، إذا لم يجد ميتة غيره كما قيده الشيخان في الشروح والروضة؛ لأن حُرمة الحي أعظم من حرمة الميت. . . "[107]وربما تعود تعديات أهل الفساد[108]، أي قطاع الطرق، وبحسب بعض المصادر قيل إنهم من السودان[109] ومنهم من قال إن الوالي أخرج من الدار التي كبسها ألوفاً من القتلى[110].

ومع كل ذلك على الرغم من الفوضى والمجاعة وتفشي الأمراض تدخلت أجهزة الحكم مع "أهل الفساد" وسلِّطت عليهم عقوبة الموت[111]، والظاهر أن أكل لحم الجيف قد ساعد في انتشار الأوبئة وعدد الضحايا في تضخم مع عجز في المجتمع الأهلي عن

دفن موتاهم فقذفوا بهم في النيل[112]، وهذه من أسباب انتشار الأوبئة وبحسب إشارة ابن إياس الحنفي التي ذكرناها فإن هذا الوباء أفنى نحو ثلث أهل مصر؛ مما أسهم في انتشار الأمراض بين الأهالي وموت خلق كثر، وقد يُعد في رواية ابن إياس التي تطرقنا إليها، شيء من الوثوقية؛ فخلال هذه السنوات السبع من الشدة والعسرة كان الموت يحصد الخلق حصداً لا يفرق بين عظيم وحقير، بل كانت المصيبة عامة مست الجميع " حتى إنه كان يموت الواحد من أهل البيت فلا يمضي اليوم أو الليلة حتى يموت جميع من فيه "[113]، وبقيت الأراضي بوراً حتى إن الجند الذي يعد جزءاً من الأزمة الإدارية اضطر للنزول للأرض لحرثها وزرعها[114]، وبالفعل كانت – كما ذكر الباحث " بانكيه، BIAN QUIS " في ختام دراسته عن الحالة الغذائية بمصر في النصف الثاني من القرن الخامس للهجري – من أقسى المجاعات التي عرفتها مصر على مر تاريخها وبسببها مات أغلبية مهمة من الشعب[115].

3 - نتائج الأزمة

من المحطات المهمة من حكم المستنصر ما نتج عن قصور مياه النيل أو فيضانه، كما حدث سنة 456هـ، وقد سبب مجاعات وأوبئة فتكت بأغلبية شعب مصر، خاصة في المجاعة التي وصفتها أغلبية المصادر بالشدة العظمى، فقد أرهقت مصر وأضعفتها ولم يطل بالفاطميين الأمر؛ فبعد نحو القرن كان الأفول لهذه الخلافة بما قدمته للحضارة العربية الإسلامية أو الإنسانية، فالفاطميون نقلوا الموروث الفكري والثقافي لعديد الأمم، وكان له حضوره المميز في المكتبات وخزائن المعارف في مصر وجبال اليمن وشبه القارة الهندية، ناهيك عما احتفظت به مكتبات إفريقية.

وبالعودة إلى النتائج المنجرة عن الشدة المستنصرية وكل المجاعات التي عرفتها مصر في حكم المستنصر الفاطمي، نجد أول خطوات هذا الخليفة وبقرار سياسي يعد حكيماً للحد من الفوضى وتدخلات العساكر الترك وغيرهم، أنه استنجد بالضابط الأرمني بدر بن عبدالله الذي كان مملوكاً لجمال الدولة بن عمار، أحد ولاة طرابلس الشام، وعُرف بالجمالي[116] ولم يكن من السهل إنقاذ مصر وإرجاع هيبة الدولة بعد أكثر من أزمة وجائحة طبيعية ووبائية إلا بالتدخل العسكري القادر والمتمكن من فرض سلطة الدولة وقوة النظام

والقضاء على الفوضى والتسيب في القاهرة والأحواز حتى المناطق الطرفية، فالخليفة المستنصر لم يكن في قوة آبائه خلفاء عصر القوة؛ ففي أيامه ونتاج هذه الجوائح استولى قادة العسكر مع اختلاف إثنياتهم على الأمصار وبقيت القاهرة والفسطاط خاضعة لسيطرة العساكر الترك الذين تطاولوا على هيبة الخلافة والدولة، بل إن شخصية الخليفة الإمام عند الإسماعيلية تحظى بنوع من القدسية والعصمة[117]، وبسبب سلوكيات الجند وتدخلهم في شؤون الحكم تآكلت هذه الهيبة بما حَوَته من قُدسية، وقد تطرقنا إلى تجاوزات هؤلاء، وخاصة الترك على وجه التحديد، لذلك عزم المستنصر على القائد الأرمني بدر الجمالي، فراسله سراً عن طريق وزيره أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي صاحب ديوان الإنشاء يحثُّه على القدوم إلى مصر لإصلاح حال البلاد والعباد. ورحب القائد بدر بذلك وأول شروطه أن يقدم إلى مصر مع عساكره وأن يقصي العساكر الموجودين فيها وأيده الخليفة في ذلك[118]، فتمكن بدر الجمالي من السيطرة على أوضاع مصر والسيطرة على مقاليد الحكم بتفويض تام من الخليفة والقضاء على العناصر التركية وغير التركية في الجيش والسلطة، وقلده بذلك الخليفة الوزارة وأطلق عليه السيد الأجلّ أمير الجيوش[119]، وفيه إطلاق ليد الوزير بدر الجمالي في كل أمور مصر "مدبراً للبلاد مُصْلياً للفساد مدمراً لأهل العناد"[120].

ومن أبرز ما أفرزته هذه الجوائح، سيطرة العسكر على مقاليد الأمور وطالت أيديهم كل شؤون الدولة ومفاصلها وحجَّر على الخليفة نفسه[121]، وعمل على إعادة الرخاء للاقتصاد المصري بدعم وتشجيع المزارعين حتى تحسنت أحوالهم[122].

وابتداء من عصر بدر الجمالي وتوليه وزارة التفويض وإمرة الجيوش بدأ عصر جديد في تاريخ الخلافة الفاطمية، وهو عصر تحكم الوزراء وتحكم أرباب السيوف، وصار وزير السيف هو حاكم مصر وسلطانها وعلى يديه تتم كل أمور الدولة الدينية والدنيوية[123]. وبذلك فقد الخليفة الفاطمي قوته وسلطاته فقد كان نظام الخلافة يقوم على رأس الدولة، الخليفة الإمام يليه داعي الدعاة، وهو المسؤول على شؤون الدعوة والدعاة في المجالات التي وصلتها أقدام دُعاتهم في جزر الأرض، ثم يأتي قائد الجيوش في المرتبة الثالثة، وهو

خاضع لسلطة الخليفة وأوامره[124].

ونتاجاً لهذه الأوضاع الناجمة عن الجوائح تسلط بدر الجمالي القائد الأعلى للجيش الفاطمي ولقِّب "أمير الجيوش" سيد مصر، ويحكم على الخليفة ويحجر عليه ويحمل كل الألقاب: "وزير وداعي دعاة ولقبه الرسمي أمير الجيوش وأصبح منصب أمير الجيوش منصباً وراثياً، وهذا الإجراء لقي رفضاً عند المجموعات الإسماعيلية خاصة بعد تدخل أمير الجيوش في شؤون الدعوة[125]، وعندما عين بدر الجمالي ابنه الأفضل ولياً للعهد سنة 477هـ/ / 1084م[126]، وورث الأفضل كل امتيازات والده منذ سنة 487/ 1094م، وتلقب بنفس ألقاب والده[127]

والذي أقدم عليه الأفضل أمير الجيوش بعد وفاة الخليفة المستنصر في 18من ذي الحجة 487هـ/ 29 ديسمبر 1094م عن عمر يقارب سبعة وستين عاماً[128]، من تدخل في شؤون ولاية العهد للخليفة- يعد أول خطوات سيطرة قائد الجيش الجديد بانقسام الدعوة الإسماعيلية بخطين، شرقي بقي على ولاء للابن البكر للخليفة المستنصر نزار الولي الشرعي للعهد والمعزول من قبل أمير الجيوش وعيَّن مكانه أخاه الأصغر المستعلي، وهو الممثل للخط الغربي للدعوة في مصر، بينما أتباع نزار استقروا في المجال الإيراني وقاد حركتهم الحسن الصباح.

وعيِّن المستعلي بالله الخليفة الإمام؛ وهو ما تسبب في انقسام سياسي وعقدي بين فرعي الدعوة الإسماعيلية، ويُعد إبعاد نزار وتولية المستعلي بالله انقلاباً سياسياً في البلاط الفاطمي حتى يتمكن أمير الجيوش من السيطرة الكاملة على مقاليد الخلافة[129] وهكذا انتشرت الدعوة الإسماعيلية وبقي هذا الانقسام حتى أفول نجم الفاطميين عن عالم السياسة كقوة عظمى في البحر المتوسط والعالم القديم، وأصبحت الدولة الفاطمية في طيات سجلات التاريخ كإحدى الدول التي شاركت في أحداث العالم في العصر الوسيط. وهذه الأحداث والتطورات ساهمت في تحديد مسار هذه الخلافة، وأسهمت نتائج هذه الآفات والجوائح بشكل غير مباشر في نسج تطوراتها، ناهيك عن العامل الدولي في صعود قوى جديدة في المنطقة المشرقية.

الخاتمة

يعد عصر المستنصر بالله الفاطمي أطول عهود الخلفاء الفاطميين حكماً، وما حدث في عهده من مجاعات وأوبئة أثرت بالسلب على هيبة الفاطميين وقوتهم كأبرز القوى السياسية في المشرق العربي، وأصابها الوهن الذي عرفته في جيلين (444 - 454هـ و-457 464هـ)، فالنيل في مده وجزره وما يبعثه من حياة لمصر يُعد أحد أهم الأسباب المباشرة في حدوث المجاعات والأوبئة، ناهيك عن تجاوزات الجند وتعديات قبائل الأعراب وتأثير كل ذلك على الحياة الاقتصادية وخراب أرض الصعيد، ولم تتعاف مصر إلا بعد استنجاد المستنصر بالله الفاطمي بأمير عكا بدر الجمالي الذي قام بإصلاحات فورية أعادت للدولة هيبتها المتآكلة، وفرض نظام حكم جديداً ألغى كل أعمال خلفاء عصر القوة وأصبح المتنفذ في شؤون البلاط الفاطمي.

وانسلخت بعض الأقاليم في إفريقية وبلاد الشام عن الخلافة الفاطمية بسبب انكفاء الدولة لشؤونها الداخلية كما نجد هذه الآفات، وانخفاض إيرادات الدولة وانكماش اقتصادها، فضلاً عن الفوضى وتطاول الجند على الخليفة رأس هرم السلطة. وهنا نقف أمام تطورات أحداث التاريخ وكيف تؤثر عوامل الطبيعة في مصير الدول، وعمرها السياسي، وأثر المدلهمات أو التطورات التي لم تحسن السلطة معالجتها.

واقترن الاقتصاد بالسياسة والتاريخ في أعمار الحكومات والدول، وتداخَل العامل العقدي في تهالك الدولة وتوظيف ذلك في تنفير الموالين والأنصار، وهذا ما حدث مع الفاطميين على الرغم من كل الإنجازات الحضارية والثقافية التي عرفتها دولتهم في أكثر من محطة تاريخية. تبقى مقولة هيرودوت "مصر هبة النيل؛ "كلمة عابرة للتاريخ؛ فالنيل شريان حياة وحضارة، والنيل محدد لأعمار الدول وازدهارها وأفولها. وهنا نقف أمام جوائح طبيعية أقوى من الحروب في إضعاف الدول وتآكلها، وهذا ما حدث مع الفاطميين بعد مجاعتين وأوبئة أفنت مئات الألوف من السكان، أضف إلى ذلك أن ضعف القيادة السياسية والحراك الجغراسياسي الخارجي أسهم في تحديد نهايات الدولة وأعمارها وانتقالها من الحس الوجودي إلى كتب التاريخ والتراث السياسي.

الهوامش والمراجع

(1) الشيرازي: **مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية**، تحقيق: عارف تامر، بيروت: مؤسسة عز الدين، 1983.

(2) الشيرازي: **ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة**، تقديم وتحقيق: محمد كامل حسين، بيروت: دار المنتظر، 1996.

(3) الشيرازي: **المجالس المؤيدية**، تحقيق: محمد عبد الغفار، مكتبة مدبولي، 1994، كما توجد طبعة أكثر علمية حققها: الدكتور مصطفى غالب، بيروت: دار الأندلس، 1974.

(4) الشيرازي: **المجالس المستنصرية**، تحقيق: محمد كامل حسني، بيروت: دار الفكر العربي (د.ت).

(5) سفرنامه: **رحلة ناصر خسروالقبادياني**، ترجمة وتقديم: د. أحمد خالد البدلي، الرياض: عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، 1983.

(6) المعري، أبو العلاء: **اللزوميات**، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية، ، 1986، ص53.

(7) المسبحي: **أخبار مصر**، الجزء الأربعون، تحقيق: أيمن فؤاد سيد وتياري بيانكي، القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار، 1987.

(8) نشر المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1972.

(9) ابن ميسر: **المنتقى**، تحقيق وتقديم: أيمن فؤاد سيد، القاهرة: المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، 1981.

(10) المقريزي: **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، تحقيق: د. كرم حلمي فرحات، العين القاهرة، 2007.

(11) المقريزي: **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تحقيق: محمد أحمد، ج1، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1967–1973؛ الخطط المقريزية: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج(1–2)، طبعة بولاق، 1270هـ (توجد طبعة لمكتبة مدبولي).

(12) - " Une crise frumentaire dans l'Egypte Fatimide ", JE SHO, XXIII, 1980, PP 67-101.

(13) - The Ismailis : Their History and Doctrines. Cambridge University Press, 1990.

(14) الصاوي: **مجاعات مصر الفاطمية: أسباب ونتائج**، بيروت: دار التضامن للطباعة والنشر، 1988.

(15) زكّار: **تاريخ الدولة العربية في المشرق: من السلاجقة حتى سقوط بغداد**، مطبعة جامعة دمشق، 1990.

(16) مجلة الكلمة، تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، السنة 19، شتاء 2012م/ 1433هـ، العدد 74، ص21–36.

(17) الشريري، سليم، المسعودي، محمد: "المجاعات والأوبئة في مصر خلال حكم المستنصر بالله الفاطمي: الشدة العظمى أنموذجاً (457–464هـ/ 1056–1071م)"، **مجلة البحوث الأكاديمية**، جوان 2019، ص127–149.

(18) الأنطاكي، يحيى بن سعيد: "**تاريخ**"، نشره لويس شيخو مع كتاب "التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق" لابن البطريق، بيروت، 1908م، ص195 – 236؛ سيد، أيمن فؤاد، **الدولة الفاطمية: تقسيم**

جديد، الدار المصرية اللبنانية، 1992، ص–98 ص118.

(19) المسبحي، الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد: **أخبار مصر/ نصوص ضائعة من أخبار مصر**، اعتنى بجمعها: أيمن فؤاد سيد، (1981), pp1 ,XVII .Isi.An-54؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: **الخطط: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، نسخة مصورة عن طبعة بولاق**، 1270هـ، ج1، ص354 – 355.

(20) خلف، محمود محمد: **مناهج البحث في التاريخ الإسلامي: دراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية**، الإسكندرية: دار التعليم الجامعي، 2019، ص32.

(21) وادال، أ: **الأصول السومرية للحضارة المصرية**، ترجمة: زهير رمضان، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1999، ص60.

(22) أبو المحاسن، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج5، القاهرة: طبعة دار الكتب، 1352هـ/ 1933م، (توجد عديد الإشارات لقياس مستوى فيضان النيل، فتلك القوائم التي أوردها (ابن تغري بردي)، ص70 – 75؛ ماجد، عبد المنعم: **ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر: التاريخ السياسي**، القاهرة: دار المعارف بمصر، 1968، ص366 – 367؛ الصاوي، أحمد السيد: **مجاعات مصر الفاطمية؛ أسباب ونتائج**، بيروت: دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، 1988، ص61.

(23) إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص23.

(24) إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص23.

(25) مجاعات مصر الفاطمية، ص61.

(26) إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص22 – 24.

(27) ناصر خسرو، سفرنامه، ص88.

(28) هنز بيرغر، أليس: **خسرو، ناصر: ياقوته بدخشان**، ترجمة: سيف الدين القصير، دار المدى، دمشق، بيروت، 2001 (للاطلاع أكثر على المسار العلمي والفكري لهذه الشخصية).

(29) سفرنامه، ص–83 ص116؛ ناصر خسرو: ياقوته بدخشان، ص–233 ص280.

(30) بحسب الماوردي، **الأحكام السلطانية**، القاهرة: مطبعة الوطن، (د.ت)، ص86؛ أما القلقشندي؛ فقد اعتبر الذراع ما يساوي ستة قبضات بشرية معتدلة وكل قبضة أربع أصابع بالخنصر والبنصر والوسطى والسبابة، وكل إصبع ست شعرات معتدلات. القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، تحقيق: حسن شمس الدين، ج3، بيروت: دار الكتب العلمية، 1978، ص328 – 329.

(31) صبح الأعشى، ج3، ص320؛ "المجاعات والأوبئة في مصر خلال حكم المستنصر بالله الفاطمي: الشدة العظمى أنموذجا (457–464هـ/ 1056–1071م)"، ص129.

(32) إغاثة الأمة في كشف الغمة.

(33) إغاثة الأمة، ص89 – 92.

(34) الخطط، ج1، ص46 – 47.

(35) إغاثة الأمة، ص12 – 15؛ "المجاعات والأوبئة في مصر خلال حكم المستنصر بالله الفاطمي: الشدة العظمى أنموذجا (457–464هـ/ 1056–1071م)"، ص130.

(36) الخطط، ج1، ص337.

(37) المقريزي: **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، ج3، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1972، ص124.

(38) راجع ما كتبه البراوي، راشد: **حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين**، مكتبة النهضة المصرية، 1948، ص274–275.

(39) المقصود بهم أعراب بني هلال، للتوسع أكثر في ما سببته هذه القبائل من فوضى وقلائل وانعدام الأمن وتأثيرها على الحياة الاقتصادية، راجع مقال:

- Dagfous, R " Aspects de la situation économique de l'Egypte au milieu du V.ème siècle milieu du XI° siècle : contribution à l'étude des conditions de l'immigration des tribus arabes (Hilal et Sylam) en Ifriqiya " C TXX V (1977), 11, PP 23-50.

(40) إغاثة الأمة، ص22–23.

(41) اتعاظ الحنفاء، ج3، ص226؛ إغاثة الأمة، ص29–30.

(42) إغاثة الأمة، ص29–30؛ مجاعات مصر الفاطمية، ص63.

(43) اتعاظ الحنفاء، ج1، ص168.

(44) استخدم الفاطميون السودان ضمن مؤسسة الجيش الفاطمي المتكونة من المغاربة عماد الجيش في مراحلها النشأوية، وعندما توسعوا شرقا ضم الجيش الفاطمي عناصر من الديلم والترك وبرز هؤلاء السود أو السودان بقوة على مسرح الأحداث في عصر المستنصر الفاطمي الذي كانت أمه سودانية حتى صارت أعدادهم تزيد على 50 ألف جندي، عن الجيش الفاطمي راجع: الخطط، ج1، ص152؛ الخطط، ج2، ص138؛ ماجد، عبد المنعم: **ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر (التاريخ السياسي)**، القاهرة: دار المعارف، 1968، ص369 – 375.

(45) سفرنامه، ص10 – 101.

(46) الخطط، ج3، ص33 – 34.

(47) ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، ص373.

(48) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج8، بيروت: دار صادر، 1967، ج8، ص12–13.

(49) المقريزي: **الخطط المقريزية: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار**، ج2، طبعة بولاق، 1270هـ، ص253.

(50) الخطط، ج2، ص253.

(51) سفرنامه، ص85–86.

(52) أخبار مصر، ص84–85؛ Bianquis (Th) " Une crise frumentaire dans l'Egypte Fatimide ",JE SHO, XXIII, 1980, PP 71-73.

(53) ظهور خلافة الفاطميين، ص366.

(54) القرآن الكريم برواية ورش لقراءة نافع من طريق أبي يعقوب الأزرق، سورة يوسف (رقم: 12).

(55) أبو المحاسن: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج5، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1352هـ/ 1933م، (راجع الجداول).

(56) إغاثة الأمة، ص22 – 23؛ سيد: أيمن فؤاد: **الدولة الفاطمية في مصر**، تفسير جديد، ص140–141.

(57) أخبار مصر، ص24–26؛ إغاثة الأمة، ص18–27.

(58) إغاثة الأمة، ص24.

(59) الدواداري، ابن أبيك: **كنز الدرر وجامع الغرر: الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية**، ج6، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة: المعهد الألماني للآثار بالقاهرة، قسم الدراسات الإسلامية، 1380هـ/ 1961م، ص370–371.

(60) النجوم الزاهرة، ج5، ص6–9.

(61) أخبار مصر، ص38؛ إغاثة الأمة، ص25.

(62) الشيرازي، المؤيد في الدين: **الديوان**، تحقيق: محمد كامل حسين، بيروت: دار المنتظر، 1996، ص281.

(63) أبو المحاسن، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج5، القاهرة: طبعة دار الكتب ص2.

(64) أخبار مصر، ص28–54؛ اتعاظ الحنفاء، ج2، ص311–322.

(65) الكامل في التاريخ، ص141.

(66) إغاثة الأمة، ص22–23.

(67) إغاثة الأمة، ص23.

(68) قام الخليفة الفاطمي المستنصر ووزيره بحث هؤلاء على العبور للقسم الغربي من النيل بعد أن كانوا يمنعونهم منه وقد منحوا كل عابر دينارا مع أشياء أخرى كفروة وبعير. الدينار، ابن أبي: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، تحقيق: محمد شمام، تونس، 1967م، ص82–83.

(69) المراكشي، ابن عذاري: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق: كولان وليفي بروفنسال، ليدن، ج1، تونس: الدار العربية للكتاب، ص240؛

DAFTARY (Farhad), The Ismailis,Cambridge University Press, U.K, 2007, PP201-202

(70) الشيرازي، المؤيد في الدين: **مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية**، تحقيق: عارف تامر، مؤسسة عز الدين، 1403هـ/ 1983م، ص132–144؛ الديوان، ص281؛ The Ismailis، pp 203، (F) Daftary–211.

(71) الخطط، ج1، ص398–400؛ مجاعات مصر الفاطمية، ص148–151.

(72) الخطط، ج1، ص399.

(73) السجلات المستنصرية "سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات

الله عليه، إلى دعاة الدين وغيرهم قدَّس الله أرواح جميع المؤمنين" تحقيق: عبد المنعم ماجد، دار الفكر العربي، القاهرة، 1954م، سجل رقم 20، 34، 56، 57، Becker.CH.,El 2 art, Badr al- Djamali, Vol 1, p894.؛ سيد (د. أيمن فؤاد)، الدولة الفاطمية في مصر، ص143–158.

(74) اتعاظ الحنفاء، ج2، ص273.

(75) أخبار مصر، ص86.

(76) الحنفي، ابن إياس: **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2008، ص61.

(77) السيوطي: **حسن الحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، القاهرة: دار إحياء الكتب العلمية، ص287–288.

(78) النجوم الزاهرة، ج5، ص4.

(79) الإغاثة الأمة، ص22–23.

(80) الخطط، ج2، ص376.

(81) وفيات الأعيان، ج1، ص161.

(82) الأندلسي، ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، تحقيق: مختار العيادي والكتاني، (الجزء الخاص بتاريخ المغرب وصقلية)، الدار البيضاء، 1964م، ص254، ص453؛ ماجد، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، ص366.

(83) ابن الأبَّار: **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق: كوديرا، مدريد، 1967، ص622.

(84) العبادي: "الصقالبة"، **مجلة معهد الدراسات الإسلامية** في مدريد، 1953، ص26.

(85) ابن ميسر: **أخبار مصر**، تصحيح: هنري اسيه، ج2، القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي، 1919، ص7؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص230.

(86) الذهبي: **تاريخ الإسلام والمشاهير والأعلام وطبقات المشاهير والأعلام**، حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، 1337هـ، ج16، ص200.

(87) الكامل في التاريخ، ج8، ص79.

(88) النجوم الزاهرة، ج5، ص16؛ حسن المحاضرة، ج2، ص154.

(89) ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، ص368.

(90) اتعاظ الحنفاء، ج3، ص112، ص175.

(91) النجوم الزاهرة، ج5، ص74.

(92) راجع في ذلك، صديقي، محمد الناصر: "الغيرية المذهبية بعداً فكرياً في الثقافة العربية الإسلامية"، **مجلة الكلمة**، العدد 74السنة 19، شتاء 2012، ص–30ص36.

(93) بين أبي العلاء المعري وداعي الدعاة الفاطمي، جمع وتحقيق مُحب الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ؛ صديقي (محمد الناصر)، "الغيرية المذهبية"، ص25–30.

(94) المعري: **اللزوميات**، القطعة 28، في الهمزة الساكنة، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1986، ص 53.

(95) الخطط، ج1، ص227.

(96) إغاثة الأمة، ص24.

(97) أخبار مصر، ج2، ص20؛ ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، ص367-368؛ مجاعات مصر الفاطمية، ص65.

(98) الخطط، ج2، ص297.

(99) إغاثة الأمة، ص25.

(100) أخبار مصر، ج2، ص20.

(101) إغاثة الأمة، ص24؛ الحنفي، ابن إياس: **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، (نسخة مصورة عن طبعة بولاق)، ج1، القاهرة، 1311، ص60.

(102) طوسون: **كتاب مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن**، الإسكندرية، 1350هـ/ 1931م، ص224-229.

(103) الخطط، ج1، ص19-20.

(104) بدائع الزهور، ج1، ص61.

(105) إغاثة الأمة، ص23-24؛ الصاوي (أحمد السيد)، مجاعات مصر الفاطمية، ص66.

(106) إغاثة الأمة، ص24؛ النجوم الزاهرة، ج5، ص15-16.

(107) الإمام النووي: **روضة الطالبين وعمدة المفتين**، ج3، بيروت: نشر المكتب الإسلامي، (د.ت)، ص284؛ النفزاوي، ابن غنيم: **الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، ج2، بيروت: نشر دار الفكر، ص286.

(108) كما تسميهم المصادر، راجع أخبار مصر، ج2، ص19.

(109) النجوم الزاهرة، ج4، ص17.

(110) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج2، ص154.

(111) الخطط، ج1، ص337.

(112) اتعاظ الحنفاء، ج1، ص307.

(113) أخبار مصر، ج2، ص36.

(114) بدائع الزهور، ج1، ص218.

(115) Une Crise Frumentaire dans l'Egypte Fatimide, PP 100 -101.

(116) تولى عديد المناصب لآل عمار أمراء طرابلس الشام، تميز بعبقريته التي أهلته ليحتل أعلى المناصب ؛ حيث تنقل في خدم متعددة وآخرها كان على ولاية عكا في سنة 462هـ/ 1069م التي بقي والياً عليها إلى أن طلبه المستنصر لإنقاذ الوضع الأمني والسياسي بالقاهرة؛ أخبار مصر، ص81؛ الخطط، ج2، ص211 - 213؛ النجوم الزاهرة، ج5، ص80-85: حسن المحاضرة، ج2، ص204؛ Becker,C.H, " Badr al-Djamali ", EI2, TI, P 894

(117) الإمام ذو المرجعية القرشية والحامل لدماء نبوية من بني هاشم من بني عبد المطلب من ولد الحسين بن علي؛ لأن الحسين من ولد فاطمة بنت النبي، مؤلف مجهول، في نسب الخلفاء الفاطميين (أسماء الأئمة المستورين كما وردت في كتاب أرسله المهدي عبد الله إلى ناحية اليمن)، تقديم: حسين بن فيض الله الهمداني، تصدير يابرد دودج، القاهرة، 1958، ص9 - ص12.

Daftary (F), The Ismailis, pp 107–108.

(118) السجلات المستنصرية، السجل رقم 56–57: أخبار مصر، ص40.

(119) السجلات المستنصرية، سجل رقم 56.

(120) السجلات المستنصرية، سجل رقم 57.

(121) أخبار مصر، ص41.

(122) أخبار مصر، ص53.

(123) السجلات المستنصرية، السجل رقم 57–58.

(124) بيطار (أمينة)، زكّار، سهيل، تاريخ الدولة العربية في المشرق: من السلاجقة حتى سقوط بغداد، مطبعة جامعة دمشق، 1990، ص85 – 86.

(125) الدولة الفاطمية في مصر، ص 151.

(126) السجلات المستنصرية، السجل رقم 15.

(127) السجلات المستنصرية: السجل رقم 35، 43؛ الكامل في التاريخ، ج100، ص59 – 590؛ أخبار مصر، ص59، ص87؛ النجوم الزاهرة، ج5، ص218-222.

Wiet, G, " al, Afdal b. Badr al- Djamali " EI2, TI, PP 221-222.

(128) الكامل في التاريخ، ج10، ص237–238؛ النجوم الزاهرة، ج5، ص23.

(129) الدولة الفاطمية في مصر، ص154–155.

مجلة الحقوق

مجلة فصلية أكاديمية
محكّمة تعنى بنشر البحوث
والدراسات القانونية والشرعية

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

رئيس التحرير

الدكتور/ فهد علي الزميع

صدر العدد الأول في
يناير ١٩٧٧

الاشتراكات

	في الكويت	في الدول العربية	في الدول الأجنبية
الأفراد	٣ دنانير	٤ دنانير	١٥ دولاراً
المؤسسات	١٥ ديناراً	١٥ ديناراً	٦٠ دولاراً

المراسلات

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان الآتي:
مجلة الحقوق - جامعة الكويت ص.ب: ٦٤٩٨٥ الشويخ - ب 70460 الكويت
تلفون: ٢٤٨٣٥٧٨٩ - ٢٤٨٤٧٨١٤ فاكس: ٢٤٨٣١١٤٣
E.mail: jol@ku.edu.kw

عنوان المجلة في شبكة الإنترنت http://www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/jol

ISSN 1029 - 6069